مجلة الناقد للدراسات السياسية | المجلد: 06/ العـدد: 01 (2022)، ص 144– 159

دور الدين واللوبي الإسرائيلي في التأثير على الإستراتيجية الأمريكية

The role of religion and the Israeli lobby in influencing American strategy

نور الدين حشود

جامعة ورقلة (الجزائر)، hachnouri@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/22 تاريخ القبول: 2022/03/31 تاريخ النشر: 2022/04/18

ملخص:

تتسم عملية صناعة الإستراتيجية الأمنية للولايات المتحدة بالتعقيد والتداخل بين مختلف القوى الرسمية وغير الرسمية المساهمة في صياغتها، وتأخذ العلاقة بين هذه القوى طابع التعاون أحيانا، وأحيانا أخرى تتسم بالتنافس، مما يضفي مزيدا من التعقيد على رسم وصياغة هذه الإستراتيجية. ويعتبر الدين المسيحي – متجسدا في المذهب البروتستانتي – أحد الروافد المهمة في الإستراتيجية الأمريكية، من خلال ما يظهر في مختلف الخطابات الرسمية لمختلف الرؤساء الأمريكيين، وهو ما يفتح المجال واسعا أمام نشاط اللوبي الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب التقارب البروتستانتي اليهودي.

كلمات مفتاحية: الإستراتيجية الأمريكية، المذهب البروتستانتي، اللوبي الإسرائيلي.

Abstract:

The process of making the American security strategy is characterized by the complexity and overlap between the various official and unofficial actors, and sometimes the relationship between these actors takes the character of cooperation, and sometimes competition, which adds more complexity to the making of this strategy. The Protestant doctrine is one of the important tributaries in the American strategy, which appears in the official speeches of various American presidents. Thus, it opens a wide field for the activity of the Israeli lobby in the United States of America, because of the Protestant-Jewish rapprochement.

Keywords: American strategy; the Puritan doctrine; the Israeli lobby.

المؤلف المرسل: حشود نور الدين ، **الإيميل**: hachnouri@gmail.com

مقدمة:

مهد التقارب البروتسنتي اليهودي – مع ظهور أفكار مارتن لوثر في القرن السادس عشر الذي قدمت أعماله صورة ايجابية عن اليهود عكس نظرة الكاثوليك لهم – بداية تأثير اللوبي الإسرائيلي المشبع بأحلام التوراة في الإستراتيجية الأمريكية، من خلال الإيمان الحقيقي بنبوءات العهد القديم لدى أتباع المذهب البروتسنتي، ليتحول دعم إسرائيل فيما بعد إلى واجب ديني لدى البروتستانت.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالية التالية: **في ظل صعود التيار المسيحي المتهصين، نتيجة التقارب المسيحي البروتستنتي اليهودي، وعليه ماهي مظاهر تأثير اللوبي الإسرائيلي على الإستراتيجية الأمريكية، مستفيدا من نفوذ المذهب البروتستنتي في السياسة الأمريكية؟**

وسيتم الاستعانة بالتساؤلات الفرعية التالية: أين يبرز التقارب البروتستنتي اليهودي؟ ما هي وسائل ومجالات تأثير اللوبي الإسرائيلي على الإستراتيجية الأمريكية؟

وفي محاولتنا للإجابة على الإشكالية، سنمتحن الفرضية التالية: ساهم التقارب بين المذهب البروتستنتي واليهودية في تمهيد الطريق لنفوذ اللوبي الإسرائيلي على السياسة الأمريكية، بما يخدم دولة الكيان على كل الصعد والمستويات، من خلال الدعم المطلق وغير المشروط.

بخصوص الإطار المنهجي للورقة، فقد تم الاستعانة بالمسح التاريخي لتتبع أهم مراحل التقارب البروتستنتي اليهودي، وأيضا تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لمحاولة استقراء شبكة العلاقات اليهودية الأمريكية الرسمية وغير الرسمية.

وقد تقسيم هذه الورقة إلى ثلاث نقاط؛ تناولت الأولى عملية صناعة الاستراتيجية الأمريكية بكل تشعباتها، في حين تطرقت النقطة الثانية لدور التقارب البروتستنتي اليهودي في التأثير على الإستراتيجية الأمريكية، وخصصنا النقطة الثالثة لدور اللوبي الإسرائيلي في صياغة الإستراتيجية الأمنية الأمريكية.

أولا: عملية صنع الإستراتيجية الأمريكية

قُدمت محاولات مختلفة لفهم مسار الإستراتيجية الأمريكية والأفكار الكبرى التي تسيطر على صانعيها والمهتمين بها خلال الفترة الحالية، ومن أهمها محاولة النظر إلى السياسة الخارجية الأمريكية في الفترة الحالية

كصراع لم يحسم بعد بين أزواج ثلاثة من الأفكار والمبادئ الكبرى المتناقضة: وهي فكرة العزلة في مقابل التدخل، وفكرة العمل الفردي في مقابل العمل الجماعي، وفكرة الأخلاقية في مقابل الواقعية.

1. التدخل والعزلة:

كان الأمريكيون تاريخياً أكثر ميلاً للعزلة على المستوى الدولي، ولكن القرن العشرين – وخاصة في الفترة التالية للحرب العالمية الثانية – شهد تدخلاً واندماجاً أمريكيا متزايداً في النظام العالمي وقضاياه، ومع ذلك مازال مبدأ العزلة مؤثراً على عقلية وتفكير صانع القرار السياسي الأمريكي في الفترة الحالية، إذ ينعكس في صور أساسية منها شعور الأمريكيين المستمر بعدم الثقة في مواقف حلفائهم وشركائهم الدوليين، ومنها أيضاً عدم رغبة الأمريكيين في تحمل تكاليف عالية لإتباع سياسة خارجية تدخلية، وقد حسمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر هذا الجدل لصالح أنصار التدخل. ولكن هذا التحليل لا يحول دون تشكيك البعض في مدى رغبة الولايات المتحدة في كسر عزلتها، وتحمل تكاليف لعب دور أكثر نشاطا وفاعلية على الساحة الدولية إلى الأبد.

2. العمل الانفرادي والعمل الجماعي

يذهب بعض المحللين إلى أن الولايات المتحدة وخاصة في حكومة الرئيس جورج دبليو بوش تميل بوضوح نحو التحرك الخارجي الفردي دون مراعاة لأطرف المجتمع الدولي الأخرى أو مؤسساته، ويفسرون هذه التوجه باعتناق الولايات المتحدة لمبدأ العزلة وما يفرضه من شعور بعدم الثقة في الآخرين أو بجدوى الاعتماد عليهم، ويفسرونه أيضاً بطبيعة القوة العسكرية الأمريكية في الفترة الراهنة، إذ تعتبر بلا منازع القوة العسكرية الأعظم على الساحة الدولية، الأمر الذي يمكنها من التحرك العسكري والسياسي على الساحة الدولية دون استشارة أحد.

إلا أن مناصري العمل الجماعي يرون أن الولايات المتحدة لن تستطيع تحمل تكاليف تهميش دور الأطراف والمنظمات الدولية الفاعلة في عالم اليوم وفي مقدمتها الأمم المتحدة، وهو ما أكدت عليه وثيقة الأمن القومي الصادرة عن إدارة الرئيس باراك أوباما في 2010. بالإضافة إلى ذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الولايات المتحدة قد تعتبر القوة العظمى الأولى على الساحة العسكرية، ولكن يختلف الأمر على المستوى الاقتصادي، إذ تحتاج الولايات المتحدة إلى من يتحمل معها تكاليف عملياتها العسكرية، وبرامجها أو مشاريعها في إعادة تعمير الدول والمناطق التي تريد الولايات المتحدة تغييرها.

يشير المحللون إلى كولن باول كراعي اتجاه العمل الجماعي داخل الإدارة الأمريكية، ويعتبر موقفه من حرب الولايات المتحدة ضد العراق وإقناعه للإدارة الأمريكية بضرورة الذهاب إلى الأمم المتحدة أولا قبل التحرك العسكري ضد العراق نموذجاً لانتصار أصحاب اتجاه العمل الجماعي، ولكن يعتبر البعض هذا الانتصار محدوداً، نظراً لقوة وتعدد ممثلي توجه العمل الفردي داخل الإدارة الأمريكية، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي بوش الإبن ذاته كما يرى الكثيرون، وهو الأمر الذي قد يحصر دور كولن باول في عملية تبرير وإضفاء الشرعية الدولية على سياسة أمريكية أكثر انفرادية على المستوى الدولي.

3. الأخلاقية والواقعية

تعني الفكرة الأولى أن الولايات المتحدة في سياستها الخارجية سوف تولي اهتماما متزايدا بالقضايا الأخلاقية، مثل حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية والحرية في العالم، وأن حرب الولايات المتحدة الراهنة ضد الإرهاب لا يجب أن تغفل أبداً هذه المبادئ. ويرتبط هذا المبدأ بقوة بأفكار وتوجهات المحافظين الجدد، ومن هذا المنطلق زعمت مستشارة الأمن القومي الأمريكي السابقة كونداليزا رايس بأن الولايات المتحدة تهدف إلى إحلال الديمقراطية في العالم الإسلامي.

في المقابل، يهتم الواقعيون بتحقيق مصالح الولايات المتحدة بشكل أساسي، وذلك بالنظر إلى العالم وإلى الساحة الدولية من خلال منظور صراع القوى لا صراع المبادئ، ويرفض هؤلاء الإفراط في الحديث عن الأهداف الفكرية والمثالية لسياسة الولايات المتحدة الخارجية. وينتمي إلى هذا المعسكر عدد كبير من صناع السياسة الخارجية القدامى والحاليين، وعلى رأسهم شخصيات مثل هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق، وديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي السابق، ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي السابق. والواضح هنا أن الاتجاه الأخلاقي – على الرغم من ارتباطه بمن يسمون بالمحافظين الجدد الذي يمثلون تكتلاً قوياً داخل الحكومة الأمريكية الراهنة – إلا انه يعتبر في موضع أكثر ضعفاً من التيار الواقعي، وذلك لأن التيار الواقعي أكثر تأثيراً على السياسة الخارجية الأمريكية تاريخياً.

إذا حاولنا جمع وتلخيص الأفكار المطروحة في الحوارات السابقة وما تفرضه من معان وانعكاسات على توجه صانع القرار السياسي الأمريكي، فيمكن القول أن المنظورات السابقة حاولت تقديم صورة معقدة ديناميكية للإستراتيجية الأمريكية، ولم يتم حسمها لصالح توجه بعينه أو فكرة بعينها من الأفكار والمبادئ المؤثرة على توجه صانع القرار السياسي الأمريكي في الوقت الراهن، فالتفاعل المستمر بين الحوارات الثلاث يلقي بظلاله على الإستراتيجية الأمريكية ومرشح للبقاء كذلك.

ثانيا: دور التقارب البروتستنتي اليهودي في التأثير على الإستراتيجية الأمريكية

سنتناول هذه النقطة من خلال ثلاث جزئيات؛ تتعلق الأولى بدور الدين في توجهات الإستراتيجية الأمريكية، وتتطرق الثانية لصعود التيار المحافظ وولائه لإسرائيل، أما الأخيرة فتدرس طرق وآليات خدمة إسرائيل من طرف المحافظين.

1. دور الدين في الإستراتيجية الأمريكية

إن التقارب البروتستنتي مع اليهودية ليس جديدا، بل يرجع لبداية تكوين الولايات المتحدة، حيث هرب البروتستانت الذين يسمون الطهوريين أيضا من الاضطهاد الذي لحق بهم في أوربا وإنجلترا تحديدا الذين اعتبروا أمريكا ملجأهم وملاذهم الذي سيحققون فيه أحلامهم[1]. ونجد أيضا هذا التقارب في أفكار المفكر الإصلاحي مارتن لوثر الذي نشر كتابا عنوانه "المسيح ولد يهوديا" في 1533، أدان فيه اضطهاد الكاثوليك لليهود*، لأنه يعتقد أن المسيحيين واليهود من أصل واحد، ويقول في مؤلفه: "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى أن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تماما كالمرأة الكنعانية".[2]

لا شك أن هذه الآراء تعكس مدى التقارب الذي يحكم المسيحيين البروتستانت واليهود، وهذه العلاقة الدينية المعقدة ترتكز على بعض المفاهيم العقائدية التي توظف سياسيا. ومما سبق نشأ ما يسمى التيار أو التحالف المسيحي المتصهين، ويعبر عنه سياسيا بالمحافظين، والذي يتبنى عقيدة تقوم على الإيمان العميق بنبوءات التوراة (رؤيا يوحنا اللاهوتي) التي من ضمنها أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن المسيح سيعود إلى الأرض وإلى فلسطين تحديداً، ليحكم العالم مدة ألف عام، تقوم بعدها القيامة، وهذه العودة لن تتم إلا إذا تحققت ثلاث نبوءات توراتية:[3]

- قيام دولة لبني إسرائيل في فلسطين وقد قامت عام 1948.
- احتلال القدس، وقد احتلت عام 1967.
- بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، وهم يعملون مع الصهاينة على تحقيق تلك النبوءة، لذلك أصبح دعم اليهود لتحقيق هذه النبوءة واجباً دينياً.

لقد وجد هذا التيار اليميني صدى واسعا لدى الكثير من المسؤولين الأمريكيين على كل المستويات. وللتدليل على حجم تأثيره في صُناع القرار سنقوم بذكر بعض مواقفهم على سبيل الذكر لا الحصر، حيث اقترح الرئيس جيفرسون على الكونغرس أن يكون رمز الولايات المتحدة على شكل أبناء إسرائيل، تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمود من نار، وهو ما يتطابق مع ما ورد في سفر الخروج. وفي عام 1912 أعلن الرئيس الأمريكي روزفلت "يجب أن أحمي شعبنا وممتلكاتهم في المكسيك، حتى تقتنع الحكومة المكسيكية بأن هناك ربا في إسرائيل ومن الواجب الخضوع له"، وكذلك موافقة الرئيس ويلسن والكونغرس على وعد بلفور.[4]

قام الرئيس كارتر بأول زيارة لرئيس أمريكي لإسرائيل في مارس 1979، وقال أمام الكينيست "لقد تأسست كل من إسرائيل والولايات المتحدة من المعمرين... يجمعنا الإرث التوراتي... تأسيس الأمة الإسرائيلية يرجع لتحقيق النبوة الإنجيلية". وكرس الرئيس ريغان هذا التقارب المسيحي اليهودي من خلال إعطاء إسرائيل حق الدفاع عن النفس، من خلال غزو لبنان سنة 1982، وقال: "لأول مرة يبدو كل شيء في مكانه، في انتظار هرمجدون"**، وهي معركة القيامة بين الخير والشر حسب التوراة، والمجيء الثاني للمسيح".[5]

وفي نفس السياق واصل كل من الرئيسان بوش الأب وبوش الإبن نفس المسار، وأقل حدة مع الرئيس بيل كلينتون وأوباما، إلا أن القاسم المشترك لكل الرؤساء هو اعتبار أمن إسرائيل ضمن المصلحة القومية العليا. إن التقاطع بين البروتستنتية واليهودية مهد لظهور التيار المسيحي المتصهين الذي يؤمن بالنبوءات التوراتية، مما ساهم في تشكيل الإطار الفكري للمحافظين الجدد وتأثيرهم في الحياة السياسية الأمريكية.

2. بروز المحافظين

لعب كل من العاملين الديني والبراغماتي دورا كبيرا في الفلسفة السياسية الأمريكية منذ نشأتها إلى يومنا هذا، مع اختلاف أولوية أحدهما على الآخر من فترة لأخرى. وهناك مجموعة مبادئ تتحكم وتوجه القرار السياسي الأمريكي، وتعد من الثوابت التي تقوم عليها الإستراتيجية الأمريكية وفق الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد، وهي:[6]

أ- القوة:

تعتبر القوة في الفلسفة السياسية الأمريكية أقصر الطرق لتحقيق الأهداف الأمريكية، وازدادت القناعة في هذا المبدأ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفردها كقوة عظمى في العالم، ولو تدبرنا التاريخ الأمريكي لوجدنا

أن كل رئيس لا بد أن يخوض في ولاياته الرئاسية حرباً أو أكثر، وأصبح لهذا المبدأ فلاسفته ومشرعوه، ويعتبر هنري ويجر من أشهر منتقدي دعاة اللاعنف في السياسة الأمريكية، كما كان يسبغ على فلسفة القوة غطاءً دينياً فيقول: "الكتاب المقدس لم يمنع الحرب بل إننا نجد في التوراة أن الحرب مأمور بها، والمسيح عاش في عصر الحرب ولم يمنعها". وأكد على هذا المبدأ زعيم المحافظين ألكسندر هاملتون عندما قال: "إن القوة هي التي تملي شروط العلاقة بين أمريكا والعالم"، وتحت مسميات مختلفة وذرائع شتى، تستخدم الإدارة الأمريكية القوة لتحقيق فلسفتها السياسية، فباسم الإرهاب التي لم تحدد له تعريفاً تحتل بلاداً، وباسم الديمقراطية تطيح بأنظمة، وباسم حقوق الإنسان والأقليات، تعتقل دولاً على حد تعبير الكاتب أحمد الرمح.

ب- الجمهورية الإلهية.

قامت الفلسفة السياسية للمجموعة التي انتصرت في حرب الاستقلال والحرب الأهلية الأمريكية على عقيدة دينية بروتستانتية منطلقها الاعتقاد بأن المجتمع الأمريكي مجتمع متفوق ومتميز على كل مجتمعات العالم، ويحق له ما لا يحق لغيره، لأنه تم اختياره إلهياً لتشكيل جمهورية إلهية على غرار دولة إسرائيل، وبالتالي أعطتهم هذه العقيدة وِصاية إلهية على الشعوب الأخرى، ولقد مارس الأمريكيون الأوائل هذه الوصاية في أمريكا الوسطى والجنوبية، ثم توسعوا فيها بعد الحرب العالمية الثانية في آسيا، وعادوا لممارستها عالمياً، حتى على حساب حلفائهم بعد انفراد إمبراطوريتهم بالعالم إثر انهيار الاتحاد السوفيتي.

وبقيت فكرة الجمهورية الإلهية المتميزة مسيطرة على عقلية صاحب القرار الأمريكي، من جورج واشنطن حتى إدارة بوش الصغير، لذلك قال دون خجل أن العناية الإلهية اختارته لمحاربة الإرهابيين، وأنه يشن حرباً باسم السماء، وأن الله اختار الشعب الأمريكي للقيام بهذا الدور. ووصل الأمر به إلى أنه ادعى بأن الله زاره في بيته، وألهمه شن الحرب على العراق، وهذا بالضبط الذي قاله الرئيس الأمريكي ويليم ماكنلي إبان العدوان الأمريكي على الفلبين عام 1898. ويؤكد فلاسفة السياسة الأمريكية على الترابط بين مبدأي القوة والجمهورية الإلهية، فقد قال السيناتور هارت بنتون في خطاب له أمام مجلس الشيوخ عام 1846: "إن قدر أمريكا هو الغزو والتوسع، فهي مثل عصا موسى التي صارت أفعى وابتلعت كل الحبال، هكذا ستغزو أمريكا الأراضي وتضمها إليها أرضاً بعد أرض، ذلك هو قدرها الإلهي". ويؤكد على ذلك الكاتب الأمريكي ريتشارد نيبر في كتابه (مملكة الله في أمريكا) بقوله: "إن الفكرة القديمة عن شعب الله المختار

الأمريكي قد أعطت دورها لفكرة الأمة الأمريكية المختارة والمفضلة عند الله". وأكد الكاتب الأمريكي جوسيا سترونغ صاحب الكتاب الشهير (بلادنا) بعد اجتياح أمريكا للفلبين وجزر الهاواي وكوبا ذلك المبدأ بقوله: "إن تصميم الله لمستقبل الإنسانية يعتمد كلياً على الإنجلوساكسون".

ت- الحرب العادلة

وضع الآباء المؤسسون نظرية قاموا بتطبيقها في كل نزاعاتهم مع الآخرين منذ حرب الاستقلال وحتى بوش الابن، فوفق تلك النظرية فإن أية حرب تدخلها الولايات المتحدة ضد الآخرين هي حرب عادلة مادامت تحقق الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة.

لقد عمل المحافظون على تقديم دعم كبير لإسرائيل من خلال الحفاظ على ميزانيات دفاع أمريكية ضخمة، متذرعين بالخطر السوفيتي خلال الحرب الباردة، ومع نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي وزوال الخطر الشيوعي سارع المحافظون الجدد – الذين برزوا بشكل متزايد خلال الفترة الرئاسية لبوش الابن- إلى البحث عن عدو جديد لتبرير أفكارهم ومخاوفهم، وهو ما تأتى بعد الحادي عشر من سبتمبر، فأصبح الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة هو الإرهاب الذي لم يضعوا له تعريفا واضحا، فقاموا بشن حرب على مفهوم مطاط.

ث- الولاء المزدوج للمحافظين الجدد وخدمة إسرائيل.

أثار الكثير من الأمريكيين مسألة الولاء المزدوج للمحافظين، والمقصود به الولاء لإسرائيل ثم لأمريكا، فهم مواطنون أمريكيون، ولكن يميلون لخدمة مصالح إسرائيل أكثر من الولايات المتحدة نفسها رغم إنكارهم لتلك المزاعم وإدعاءهم بأنهم يمثلون كل شرائح المجتمع الأمريكي، وكل من يحاول إثارة فكرة الولاء المزدوج لهم يتعرض إلى هجوم شديد ويُتهم بمعاداة السامية، مثل ما حصل مع رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ في السبعينيات السيناتور ويليام فولبرايت الذي صرح بأن يهود أمريكا أصحاب ولاء مزدوج ففقد منصبه، وهو ما حصل أيضا مع بول فندلي الذي تساءل عن الأموال التي تؤخذ من دافع الضرائب الأمريكي وتعطى لإسرائيل، فهاجمته "الأيباك" وأسقطته في الإنتخابات.[7]

ومن خلال نشاط المحافظين الجدد تظهر السمة اليهودية الغالبة عليهم وانحيازهم لإسرائيل، ما دفع كلا من بول غوتفريد وتوماس فيلمينغ لوصفهم بحركة المحافظين اليهود، ورغم أن هذا التيار يضم أعضاءً من

غير اليهود مثل مايكل نوفاك، جين كيركباتريك، فرانك غافني وماكس بوت إلا أن 90 بالمائة من المحافظين الجدد من اليهود، والبقية من غير اليهود تدين بالولاء التام لإسرائيل أيضا.

لقد شكل المحافظون الجدد أفضل جواسيس إسرائيل داخل الولايات المتحدة، يحظون بدعم اللوبي الصهيوني المطلق الذي يحول دون محاكمتهم في حال أدينوا، وقد كرمت إسرائيل الكثير منهم. ويحاول الكاتب الأمريكي غرانت سميث في كتابه "العقيدة القاتلة" تسليط الضوء على أبرز المحافظين الجدد الذين وجهت لهم تهمة التجسس لصالح إسرائيل، وتحت عنوان "محطات تاريخية من ملفات تجسس المحافظين الجدد" يورد الأسماء التالية:[8]

- ريتشارد بيرل الذي قام في 1969 بتسريب معلومات عن تسلح الاتحاد السوفيتي للسفارة الإسرائيلية في واشنطن.
- بول وولفوفينز الذي سرب معلومات لإسرائيل عن طريق "الأيباك" عن مراقبة التسلح ونزع السلاح، وتم ذلك في 1978.
- دوغلاس فيث الذي طرد من عمله في مجلس الأمن القومي في عام 1983، بتهمة التجسس وتسريب معلومات للسفارة الإسرائيلية، وسماحه بدخول وكالة أجنبية غير مرخصة بدخول البنتاغون.
- مايكل ليدين تعرض لتخفيض مرتبه ومنصبه بعد شكوك بتسريبه معلومات هامة لإسرائيل.
- جوماثانبولار عضو المخابرات البحرية الأمريكية الذي تعتبر قضيته أكبر قضية تجسس بين إسرائيل والولايات المتحدة، ووصفته المخابرات الإسرائيلية بكونه أهم الجواسيس في تاريخ إسرائيل، وقد حُكم عليه بالمؤبد، وظل الرؤساء الإسرائيليون يطالبون الحكومة الأمريكية بالإفراج عنه ومُنح الجنسية الإسرائيلية بعد سجنه.

إن ما سبق لا يعتبر إلا جزءًا صغيرا مما يقوم به المحافظون الجدد لصالح إسرائيل، وقد وجد هذا التيار صدى واسعا مع الرئيس بوش الابن، واعتمد هذا التيار عقيدة متقاربة لحد كبير مع العقيدة اليهودية المتطرفة، مستغلا القدرات الأمريكية لخدمة المصالح اليهودية، وسنأتي بشرح وسائل وأهداف هذا التيار عند الحديث عن دور اللوبي اليهودي في صياغة القرار السياسي الأمريكي لما لهما من تداخل. وقد ذهب الكاتب جهاد خازن بعيدا عندما قال بأن قصة الولاء المزدوج للمحافظين الجدد مجرد كذبة، لأن لهم ولاءً واحدا لإسرائيل فقط، ولتطرفهم أطلق عليهم تسمية "حزب الحرب أو الحزب المعادي للسلام".

ثالثا: دور اللوبي الإسرائيلي في صياغة الإستراتيجية الأمنية الأمريكية

قبل أن نناقش مسألة تأثير اللوبيات في صياغة السياسات الأمريكية المختلفة لابد أولا من التعريج على ماهية اللوبي في حد ذاته، وما هي العلاقة بين اللوبي وجماعة المصالح، وفيما تتمثل وسائله وأهدافه لممارسة تأثيره.

غالبا ما تطلق تسمية اللوبي أو جماعات الضغط على الجماعات والمنظمات غير الحكومية التي تمارس ضغطا على عملية صنع السياسة والقرار السياسي، ويعرف اللوبي بأنه مجموعة الأفراد الذين يؤثرون في صنع القرار عن طريق مقابلة المسؤولين في مراكز صنع القرار، أما جماعة المصالح فهي عبارة عن مجموعة من الأفراد لها مصلحة مشتركة. وفي هذا السياق يقر بعض المفكرين بتباين اللوبي وجماعة الضغط من أمثال جان دافيل الذي يقول: "إن جماعات المصلحة تسمى جماعات ضاغطة حينما تعمل فقط على الصعيد السياسي". أما توتون أندرسون فيرى بأن كلا من اللوبي وجماعة الضغط متطابقين، حيث يقول: "إن المصلحة تستخدم تبادليا مع جماعة الضغط"[9]. ومن خلال هذا المبحث سوف نعتمد التعريف الثاني الذي يطابق بين المفهومين، لأننا سنركز على اللوبي الإسرائيلي في التأثير على السياسات الأمريكية.

وبخصوص وسائل الجماعات الضاغطة في الولايات المتحدة فإنها عموما تميل إلى اعتماد واحدة أو أكثر من الوسائل التالية:[10]

- إجراء المقابلات الخاصة مع المسؤولين الحكوميين.
- القيام بالشهادة أمام لجان الكونغرس أو الأجهزة التنفيذية.
- مساعدة المشرعين في وضع مسودات القوانين واللوائح، أو تقديم المشورة القانونية.
- العلاقات الإجتماعية مع المشرعين لكسب ثقتهم، من خلال موائد الطعام والشراب.
- مناقشة ما يمكن تقديمه للحملات الإنتخابية مع المشرعين ومساعدتهم ماديا.

1. نشأة اللوبي الإسرائيلي وتطوره

إن اللوبي الإسرائيلي هو عبارة عن تكتل مجموعات ضغط ومصالح تشترك في ولائها لإسرائيل والدفاع عنها بكل الطرق، وتعتبر "الأيباك" أقوى المنظمات اليهودية وأشهرها، وهي التي صنفها الكونغرس الأمريكي

في المرتبة الثانية من لائحة أقوى اللوبيات الموجودة في واشنطن بعد الاتحاد الأمريكي للمتقاعدين في استطلاع نشرته مجلة فورتشن عام 1997. ويضم اللوبي الإسرائيلي أيضا شخصيات مسيحية إنجيلية بارزة مثل غاريبوير، جيريفالويل، رالفريد، باتروبرتسون، وزعماء الأكثرية السابقين في مجلس النواب، بالإضافة إلى المحافظين الجدد أمثال جونبولتون محرر صحيفة وول ستريت جورنال، وروبرت بارتلي وزير التعليم الأمريكي السابق، وليم بنيت وأيضا الكاتب جورج ويل. ويؤمن هؤلاء جميعاً أن بعث إسرائيل هو جزء من نبوءة الكتاب المقدس، وبالتالي فإن أي تصد لها يعني معارضة رغبة الله.[11]

2. أهداف اللوبي الإسرائيلي ووسائله.

أ- أهداف اللوبي الإسرائيلي

تمحور أهداف هذا اللوبي حول النقاط الإستراتيجية التالية:[12]

- دعم إسرائيل على كل الأصعدة والمجالات.
- إثارة النقاش في أمريكا لصالح الصورة الإيجابية لإسرائيل، في مقابل الصورة السلبية للمسلمين والفلسطينيين.
- مراقبة اللوبي لما تقوله الصحف والتلفزيون الأمريكي عن إسرائيل.
- وضع عقبة أمام انتقاد إسرائيل، وهذه الأخيرة هي ما يعرف بمعاداة السامية، وهو ما سنأتي على تفصيله لاحقا

ب- وسائل اللوبي الإسرائيلي في التأثير على مراكز القرار الأمريكي

لا يدخر اللوبي الإسرائيلي جهدا في الوصول إلى أهدافه من خلال اللجوء استخدام كل الوسائل، حتى وإن كانت غير مشروعة، وفيما يلي أهم هذه الوسائل:

- **التأثير على الكونغرس**: ويأخذ عدة أوجه، منها قبل دخول العضو لأي من المجلسين، ومنها بعد نجاح السيناتور في الانتخابات البرلمانية وحصوله عل العضوية. فالفرد لا يستطيع خوض الانتخابات البرلمانية دون توفر الأموال لتمويل الحملة والدعم الإعلامي، وهنا تتدخل منظمة الأيباك لتقديم تمويل الحملة الانتخابية ودعم التغطية الصحفية المشروطة، وعليه يجب على المرشح الراغب في الدعم

عقد اجتماعين مع الأيباك، الأول لتقديم شروطها مقابل الدعم، والثاني بعد النجاح ويقدم فيه برنامج الأيباك لتنفيذه.[13] إن وجود بعض الأعضاء الرئيسيين من التيار المسيحي المتصهين إلى جانب أعضاء من اليهود يجعل الكونغرس داعما لإسرائيل، إضافة لقدرة اللوبي الإسرائيلي على مكافأة المشرعين والمرشحين ومعاقبة كل من يتحدى ويواجه هذه الأجندة. وكمثال على نفوذ الأيباك، نذكر دوره في إلحاق الهزيمة بالنائب تشارلز بيرسي عن ولاية إيلينوي عام 1984 الذي أبدى العداء تجاه اللوبي وأهدافه، وقد علّق رئيس الأيباك على الموضوع بقوله: "اجتمع جميع اليهود في أمريكا للإطاحة ببيرسي، ووصلت الرسالة لجميع السياسيين الأمريكيين"[14]. وقد تخطى هذا اللوبي كل الخطوط الحمراء حسب ما صرح به الأدميرال الأمريكي طوماس مورزير رئيس الأركان العامة للقوات المسلح الأمريكية في عام 1973، حينها طلب منه الملحق العسكري الإسرائيلي موردخاي غور تزويد إسرائيل بطائرات مزودة بصواريخ جد متطورة تسمى مافريك، فرد الأدميرال بالرفض لأن الولايات المتحدة لديها سرب واحد فقط منها، وقد أقسمنا أمام الكونغرس أننا في حاجة إليها، ولكن الملحق الإسرائيلي رد عليه بالقول: "سلمنا الطائرات ... وأنا سأتكفل بالكونغرس"، وتم فعلا إرسال السرب الوحيد المجهز بهذه الصواريخ لإسرائيل.[15]

- **التأثير على السلطة التنفيذية**: على الرغم من أن نسبة اليهود لا تتعدى ثلاثة بالمائة من السكان في الولايات المتحدة، إلا أن تأثيرهم في الإنتخابات الرئاسية يعد لافتا، وذلك بفضل تمركزهم في ولايات رئيسية حاسمة مثل كاليفورنيا وفلوريدا وإيلينوي ونيويورك وبنسلفانيا، وقدرتهم على جمع تبرعات كبيرة لفائدة أحد المرشحين لقيادة البيت الأبيض، وفي هذا الصدد قدرت صحيفة الواشنطن بوست نسبة اعتماد المرشحين الديمقراطيين على تبرعات اليهود لتمويل حملاتهم تصل إلى ستين بالمائة[16]، لذلك لا يحاول مرشحوا الرئاسة إثارة عداوة اليهود لهم. إن اللوبي الإسرائيلي يعمل على تمركز أشخاص موالين لإسرائيل في أهم مواقع الجهاز التنفيذي، بدءًا بالرئاسة وحتى وزارة الخارجية، ومعارضة تعيين كل من لا يتماشى مع أطروحاتهم عن طريق الضغط والتهديد والتهميش. وللتدليل على ما سبق نضرب مثالا بإدارة كلينتون، حيث كانت السياسة الشرق أوسطية تصاغ من قبل موظفين على علاقة بإسرائيل من أمثال مارتن أنديك النائب السابق لمدير قسم الأبحاث في الأيباك وأحد مؤسسي معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط، دنيسروس الذي التحق بهذا المعهد بعد

خروجه من الإدارة الأمريكية في 2001، وآرون ملر الذي يكثر من التردد على إسرائيل وعاش فيها. لقد شكل هؤلاء الرجال الثلاثة أقرب مستشاري الرئيس كلينتون في قمة كامب ديفيد عام 2000، وحرص الوفد الإسرائيلي على تنسيق المواقف مع الوفد الأمريكي، وهذا الأخير التزم بتوجيهات رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك، لدرجة أن الوفد الفلسطيني كان مضطرا لمواجهة فريقين إسرائيليين حسبهم، أحدهم يحمل العلم الإسرائيلي والآخر يحمل العلم الأمريكي.[17] وقد أصبح هذا الأمر أكثر وضوحا مع إدارة بوش التي ضمت أعضاء شديدي الولاء لإسرائيل، أمثال إليوت أبرامز وجون بولتن ودوغلاس فايث وريتشارد بيرل وبول وولفوفيتز الذين عملوا على تبني سياسات موالية لإسرائيل بشكل مطلق. لذلك يبدو جليا تغلغل ونفوذ اللوبي الإسرائيلي داخل الجهاز التنفيذي في الولايات المتحدة.

- **التأثير على الإعلام والرأي العام**: بما أن لوسائل الإعلام دورا مهما في تشكيل وتوجيه الرأي العام الأمريكي، فقد سعى اللوبي الإسرائيلي للهيمنة عليها من خلال امتلاك معظمها وتوجيه خطها الإفتتاحي بما يتماشى وتوجهات هذا اللوبي. يقول الصحفي الأمريكي إيريك ألترمان "إن النقاش الدائر حول الشرق الأوسط خاضع لمن لا يتصورون إمكانية انتقاد إسرائيل، ويحصي 61 صحفيا يمكن التعويل عليهم في الدعم الإعلامي المطلق وغير المشروط لإسرائيل مقابل 5 فقط يقومون بانتقادها".[18] ويمكن أن نلمس هذا الانحياز الإعلامي لإسرائيل في افتتاحيات كبريات الصحف الأمريكية مثل وول ستريت جورنال، الشيكاغو، صن تايمز والواشنطن بوست، وبدرجة أقل النيويورك تايمز. فقد اعترف مدير تحريرها السابق ماكس فرانكل في مذكراته بالتأثير الذي مارسه انطلاقا من موقفه الموالي لإسرائيل في الخيارات التحريرية، حيث قال صراحة "كنت أعمق إخلاصا لإسرائيل مما كنت أجرؤ على الاعتراف به".[19] بالمقابل يعمل اللوبي جاهدا لتحجيم التقارير الإعلامية السلبية لإسرائيل من خلال حملات الرسائل ومظاهرات الاحتجاج ومقاطعة المنابر الإعلامية التي تقدم مضمونا معاديا لإسرائيل، وأيضا شن هجمات لتقليص حجم التمويل والتبرعات لصالح هذه الوسائل الإعلامية، وهو ما حصل مع محطة بوسطن الإذاعية التي فقدت أكثر من مليون دولار من التبرعات والمساهمات، وقال أحد التنفيذيين في CNN أنه يتلقى أحيانا 6000 رسالة إلكترونية في اليوم الواحد تشكو من التقارير المعادية لإسرائيل.[20] لذلك لا

يمكن أن يثار نقاش حقيقي وجاد حول العلاقة بين واشنطن وتل أبيب، أو انتقاد إسرائيل أو دور اللوبي الإسرائيلي في الدعم المطلق لها.

- **التأثير على الحياة الأكاديمية:** يسعى اللوبي الإسرائيلي إلى تبييض صورة إسرائيل في الأوساط الأكاديمية، ومراقبة ما يقال في الجامعات الأمريكية حول إسرائيل. ويتم ذلك من خلال جماعات كثيرة منها "قافلة الديمقراطية" التي استقدمت محاضرين إسرائيليين للكليات الأمريكية، والمجلس اليهودي للشؤون العامة. وقد ضاعف الأيباك إنفاقه أكثر من ثلاث مرات لتمويل برامج مراقبة الفعاليات الجامعية وتدريب المدافعين الشباب على إسرائيل. وفي إطار الرقابة على أعمال الأساتذة قام مارتر كريمر ودانييل بايبس، وهما من المحافظين شديدي الولاء لإسرائيل، بتأسيس موقع إلكتروني اسمه "عين الجامعات الساهرة" يراقب الأكاديميين المشبوهين، وتشجيع الطلبة على كتابة تقارير عن أي سلوك معادي لإسرائيل.[21] وتجدر الإشارة إلى الحملة القوية التي تعرضت لها جامعة كولومبيا التي كان يعمل بها الباحث الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد من طرف القوى الموالية لإسرائيل. والضغط على الإدارة لاستنكار تصريحاته المؤيدة للفلسطينيين والدعوة لطرده من الجامعة. وتجري محاولات كثيرة لفرض الرقابة على أفكار الأساتذة فيما يتعلق بإسرائيل، من خلال حث الكونغرس على تبني آليات رقابة صارمة، قد تصل لحد حرمان المدارس والجامعات من التمويل الحكومي.

بعد استعراض وسائل اللوبي الإسرائيلي وقدرته على التأثير على مختلف نواحي الحياة الأمريكية، بدءا بالسياسية من خلال اختراق السلطة التشريعية والتنفيذية، مرورا بالتغلغل في وسائل الإعلام، وانتهاءً بفرض الرقابة على الأوساط الأكاديمية. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فكل من يجرؤ على نقد إسرائيل أو التعرض لنفوذ هذا اللوبي وتأثيره على الحياة السياسية في الولايات المتحدة يجد نفسه أمام التهمة الكلاسيكية والجاهزة المعروفة بمعاداة السامية أو اللاسامية، ليجد نفسه محاصرا من كل الجهات، وهذا المبدأ ينطبق على كل السياسيين والإعلاميين والأكاديميين. وكما يقول المفكر الأمريكي ستيفن والت فاللوبي اليهودي يفاخر بجبروته ثم يهاجم كل من يلفت الأنظار إليه.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية، يمكن أن نلمس مدى تأثير التقارب البروتستنتي اليهودي على توجيه الإستراتيجية الأمريكية، وهو التقارب الذي ظهر مع كتابات المفكر مارتن لوثر، ما يجعل نفوذ اللوبي

الإسرائيلي مدعما بالإيمان العميق لدى البروتستانت بنبوءات العهد القديم (التوراة). فيتحول دعم اليهود – في إسرائيل ومساعدتهم في إقامة دولتهم المزعومة في فلسطين– إلى واجب ديني مقدس. فالدعم الأمريكي لإسرائيل تحكمه عوامل براغماتية وأمنية، ولكن أيضا لعب العامل الديني العقائدي دورا محوريا في هذا الدعم المطلق وغير المشروط على كل الأصعدة؛ السياسية والأمنية والدبلوماسية والاقتصادية.

وإذا ما حاولنا الاجابة على اشكاليتنا المذكورة آنفا، يمكننا القول أن التقارب المسيحي اليهودي ساهم بشكل واضح في نفوذ اللوبي الاسرائيلي داخل السياسة الأمريكية، بسبب تعاطف الشعب الأمريكي مع اليهود، بفضل الآلة الاعلامية الأمريكية الجبارة المخترقة من اليهود تمويلا وإدارة، ما اعطى تعاطفا شعبيا مع قضية الكيان، وفي نفس السياق ذهب الساسة الأمريكيين لتقديم كل انواع الدعم المطلق وعلى كل الاصعدة. نتيجة تأثير ونفوذ اللوبي الاسرائيلي على السلطة التشريعية والتنفيذية الأمريكية.

وهو ما يمكننا من فهم استمرار الدعم الأمريكي لإسرائيل حتى بعد نهاية الحرب الباردة، لأن إسرائيل كانت تشكل ذخرا استراتيجيا للولايات المتحدة خلال الحرب الباردة. ولكن بعد نهايتها أصبحت تشكل عبئًا استراتيجيا عليها، وتمس بعلاقاتها بحلفائها العرب خاصة. ولكن يكمن السر في التقارب البروتستنتي اليهودي. وهو ما يقودنا لاثبات صحة فرضية الدراسة من خلال تأكيد تأثير التقارب البروتستنتي اليهودي على زيادة الدعم الأمريكي للكيان الاسرائيلي، وفق فكرة هندغتون صدام الحضارات فالعامل الديني لا زال حاضرا في رسم وهندسة العلاقات الدولية، وهو ما يتأكد يوما بعد يوم، ولا أدل على ذلك ازدواجية التعامل الأوربي مع اللاجئين السوريين والأوكرانيين، ما يوضح هشاشة شعارات الانسانية الغربية الزائفة. ويبقى السؤال مطروحا إلى متى سيستمر هذا الدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل مدعوما بالتقارب الديني؟

التهميش:

[1] رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم (الأردن: دار الشروق، 2002)، ص197.

* يعتقد البروتستانت أن اليهود شعب الله المختار، ولكن يعتبرهم الكاثوليك معاقبين من الرب لقتلهم المسيح ونقضهم العهود. ورغم مهاجمة مارتر لوثر – مؤسس البروتستنتية – في نهاية حياته لليهود، لاستحالة إيمانهم بالمسيح عند بعثه من جديد، إلا أن أنصاره تبرؤوا من أفكاره، واعتذروا لليهود عن أفكاره.

[2] مصطفى صايج، السياسة الأمريكية اتجاه الحركات الإسلامية (الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2010)، ص 26.

[3] أحمد الرمح، "الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد وآثارها العالمية"، 05-03-2021، أنظر:
http://furat.alwehda.gov.sy/_archive.asp?FileName=33274045020071008235856
[4] Roger Garoudi , Les Etates Unis, colonie d'Israel, dans le site : http://medlem.spray.se/dominique/garaudy/garaudy9.htm
** هي معركة القيامة بين الخير والشر، تنتهي بقيام المسيح وحكمه ألف عام قبل قيام القيامة، في الفكر المسيحي.
[5] مصطفى صايج، ص.ص 30-31.
[6] أحمد الرمح.
[7] بوعلام العباسي، "المحافظون الجدد الأمريكيون وإسرائيل"، دراسات إستراتيجية، العدد 15 (2011)، ص106.
[8] المرجع نفسه، ص108.
[9] ياسين العيثاوي، ص 71.
[10] فوزي حسين النجار، أمريكا والعالم، (الأردن: مكتبة مدبولي، 1986)، ص92.
[11] جون جي ميرشايمر وستيفن إم والت، أمريكا المختطفة: اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ط 1، ترجمة فاضل جتكر (السعودية: دار العبيكان، 2006)، ص60.
[12] ستيفن والت، "حرب العراق خطأ تاريخي في السياسة الأمريكية الخارجية"، أنظر:
http://alkaishani.maktoobblog.com/1061109/
[13] رمزي محمود، أوباما واللوبي الصهيوني، ط 1 (د م ط، 2011)، ص 98.
[14] جون جي ميرشايمر وستيفن إم والت، ص65.
[15] رمزي محمود، ص 100.
[16] المرجع نفسه، ص100.
[17] جون جي ميرشايمر وستيفن إم والت، ص72.
[18] المرجع نفسه، ص73.
[19] المرجع نفسه، ص74.
[20] المرجع نفسه، ص76.
[21] المرجع نفسه، ص 80.